

مومتارو



يحكى أنه، في قديم الزمان، كان يعيش في إحدى الضواحي باليابان رجل و امرأة طاعنان في السن.

وفي أحد الأيام ذهب الاثنان في اتجاهين مختلفين . فمضى الشيخ إلى الجبل للتخطيط، وتوجهت زوجته العجوز إلى النهر لغسل بعض الملابس. وسرعان ما بلغت المرأة العجوز ضفة النهر حيث وضعت طشت غسيلها الصغير في مكان مناسب ثم شرعت تسحب منه ما حملته معها من ملابس للغسيل، قطعة قطعة. قمصان ضمخها العرق ورداء بلا بطانة وغيرها وغيرها. وفيما كانت المرأة العجوز منهمكة في الغسيل لاحت فجأة من أعالي البحر دراقة كبيرة تملأ الحوض، كانت تتقلب مندفعة مع التيار!

وإذ رأت المرأة العجوز الدراقة قالت وهي تهز رأسها: " ما شاء الله ! إنها دراقة رائعة . لي من العمر ستون عاما ولم أَرِ في حياتي كلها مثل

هذه الدراقة الضخمة! أحسب أنها ستكون حلوة المذاق! سأذهب وألتقطها على الفور، وأعطيها هدية لزوجي."

ومدت يدها إلى الدراقة لكنها لم تدركها. نظرت حولها في كل الاتجاهات عسى أن تعثر على عصا، ولكن بلا جدوى. لم تدري ماذا تفعل!!؟ وفجأة خطرت لها فكرة! استدارت نحو الدراقة العائمة في التيار وقالت مرحبة بها بالتصفيق:

" مرة كالعقم مياه البحر البعيدة!

حلوة كالعسل مياه الشواطئ!

فلنتعد عن العقم!

وننعم بشهد الشواطئ!"

كررت العجوز ذلك مرتين، أو ثلاث مرات، وإذا بالدراقة تقترب رويداً رويداً، والغريب أنها حين صارت أمام المرأة العجوز توقفت هناك!!!

التقطتها العجوز بسرعة ولممت غسيلها على عجل ووضعت الدراقة تحت إبطها، وهرعت عائدة إلى البيت، وأخذت تنتظر بفارغ الصبر عودة زوجها وهي تردد في سرها: "يا لغبطة زوجي حين يعود." وفي الغروب عاد الرجل العجوز أخيراً وهو يحمل على ظهره الحطب الذي قطعه في الجبل.

هتفت المرأة العجوز راكضة خارج البيت: "زوجي العزيز! إني في انتظار عودتك منذ ساعات."

قال: "ما هذا الضجيج! هل حدث شيء في غيابي؟"

أجابت المرأة العجوز: "لا شيء، ولكن عندي لك هدية جميلة، أعتقد أنك ستحبها حين تراها."

قال: "حقاً! إنه شيء رائع بلا ريب."

ثم دخل إلى بيته بعد أن غسل قدميه وساقيه.

جاءت المرأة العجوز بالدراقة وهي تحيطها بذراعيها وكأنها حمل ثقيل، ووضعتها أمام الرجل العجوز قائلة: "تعال الآن! أنظر إلى هذه الدراقة!"

وما أن رأى الرجل العجوز الدراقة، حتى أصابه الدهول، فصاح: "آه! آه! هذه دراقة رائعة! والآن خبريني دونما إطالة من أين اشتريت دراقة كهذه؟"

صرخت المرأة العجوز: "ماذا تقول؟ إنها ليست دراقة مشتراه! بل هي جاءت إلي فالتقطتها."

ثم حكّت للرجل العجوز كل ما حدث.

وفيما كان يستمع إليها انفجرت أساريره ابتهاجاً، وقال: "لا حد، في هذه الحالة، لامتاني للدراقة. وأعتقد أننا، بسبب جوعي الشديد، سنجعل منها وليمة بلا تأجيل."

أحضرا سكينه كبيرة من المطبخ ووضعها الدراقه على لوح من
الخشب استعداداً لقطعها نصفين متساويين.
وفجأة، تنهى، إلى السمع من داخل الدراقه، ويا للعجب، صوت
طفل يقول : "انتظر لحظة أيها السيد العجوز!"
وفي نفس اللحظة انفلقت الدراقه، على حين غرة، إلى شطرين
وقفز منها طفل صغير.



اعترت الرجل العجوز وزوجته العجوز دهشة عظيمة أطارت صوابهما
وعقدت لسانيهما من شدة الذعر فسقطا أرضاً مذهولين مولولين.
لكن الطفل قال، وهو يتجه صوبهما بهدوء: "لا تخافا! لا تخافا!
فأنا لست شيطاناً وليس هناك ما يثير الأعصاب. الحقيقة أنني بعثت

إليكما بأمر من رب السماء. فالرب وقد رأى ما أنتم فيه من كرب،
حيث بلغتما هذه السن من دون أن ترزقا بأطفال. أشفق عليكما،
وشاءت إرادته بتسليمي إليكما لتربيته وكانني طفل من صليكما."
غمرت الرجل العجوز وامرأته العجوز فرحة طاغية لدى سماعهما
ذلك.

وهكذا تربي الطفل في كنفهما وكانه من صليهما. ولأنه ولد من
دراقة فقد أطلقا عليه اسم ((مومتارو)) أي الولد الدراقة، وأحيط
بكل الحب والرعاية.

حسناً! الوقت يمر سريعاً! وها قد بلغ مومتارو سن الخامسة
عشرة. وفي أحد الأيام، في ذلك الزمان، توجه إلى أبيه راعماً أمامه
بكل خشوع وقال: "أبتي، لقد أصبحنا أباً وابناً على أروع ما يكون.
وأن طبيبتك نحوي كانت أعلى من الجبل الذي تقطع منه الحطب،
وأعمق من النهر الذي يتم فيه الغسيل، وما من سبيل يمكن لي أن أعبر
به عن شكري لك."

تعجب الرجل العجوز مما سمعه، وقال: "لا تتحدث بهذه اللهجة!
فإذا كنا أصبحنا أباً وابناً، حتى ولو لفترة وجيزة، فلا غرابة أن يحظى
الطفل بالحنان من والديه. وتقديم مثل هذا الشكر بهذه الطريقة
الرسمية أكثر من طاقتي."

قال موموتارو : " في هذه الحالة ، أخشى أن أقول ما قد يبدو من باب الجحود والعصيان قبل أن أرد لكما شيئاً من جميلكما . ولكن لي طلباً منكما ، فهلا تكرمت بسماعه؟"
أجاب الرجل العجوز: " قل ما تشاء ، سأستمع لكل ما تود قوله ، فأنت الأعز عندنا والأحب."

قال موموتارو : " أتوسل إليك أن تودعني الآن."
صاح الرجل العجوز: " ماذا تقول ؟! هل تقول الوداع؟"
أجاب موموتارو : " حتى لو سميناه "وداعاً" ، فلن يكون إلا لفترة قصيرة . وسأعود قريباً ."

فرد الرجل العجوز مستفسراً : " إذن ، إلى أين تفكر في الذهاب ؟"
قال موموتارو : " من غير أن تعرف تفاصيل القصة فإنك لن تعي الموضوع . فالقصة وما فيها أنه في غابر الزمان ، وفي جزء بعيد من البحر ، كانت هناك جزيرة مسكونة بالغيلان ، وهذه الغيلان تلحق الأذى باليابان . تختطف الناس وتأكلهم ! وتتهب الممتلكات الثمينة ! إنها أبغض المخلوقات في العالم ، وأنا عازم على الشروع فوراً في شن الحرب عليها وقتلها وسحقها واسترداد كل الكنوز منها ."

أصيب الرجل العجوز في تلك اللحظة بالدهشة لدى سماعه هذه الكلمات الشجاعة ينطق بها غر بهذه الفتوة . لكنه فكر ، مفعماً بالأمل ، بأنه ما دام هذا الطفل قد أرسل إليه من السماء فإنه لا يمكن

أن يقع له أي سوء مهما يظن المرء عكس ذلك. فقال على مضض :
" هذا أمر عظيم! إذا كانت لديك خطة كهذه فلماذا أقف حائلاً بينك
وبينها؟ إني سأمنحك الحرية لتذهب حسب مشيئتك. هلم أسرع عبر
الماء إلى جزيرة الغيلان وعد إلينا بعد أن تقهرها وتقضي عليها".

فرح موموتارو بموافقة الرجل العجوز عن طيب خاطر، حتى أنه من
شدة الفرح لم ينتظر إلى الغد بل شرع يعد العدة للانطلاق في نفس
اليوم.

وراح الرجل العجوز أيضاً يحضر الطعام المناسب لرحلة المحارب
الشاب فأخرج كمية من الدخن كان قد حفظه منذ زمن ووضع هاوئناً
حجرياً كبيراً على أرض المطبخ الترابية، بمساعدة زوجته العجوز،
وسرعان ما أنبأ صوت الدق " بت - تا - را - كو! " بت - تا - را -
كو! " أنهما بدأا يعدان فطائر الدخن.

وأخيراً كانت فطائر الدخن جاهزة، وأنجزت كل تحضيرات
موموتارو الشخصية، ولم يكن ثمة ما يعيق مغادرته على الفور بعدة
محارب.

إن الوداع ، رغم كل ذلك ، أمر يثير الأسى. لقد ودعه الرجل العجوز
وزوجته العجوز بعيون مغرورقة بالدموع وأصوات مرتعشة قائلين: "إعتنِ
بنفسك في كل ترحالك، أيها العزيز. وإننا سننتظر عودتك الميمونة".

وكان أثر الوداع عميقاً في نفس موموتارو أيضاً، لكنه اكتفى
بالقول: " حسناً سأنتقل الآن. وداعاً! اعتنيا بنفسيكما! " ثم استدار

للخروج وكانت تملأ قلبه العواطف الجياشة. لكنه استجمع كل إرادته وغادر بيته مسرعاً.

آه كم كان الألم ممضاً للعيون العجوزة التي تابعتة وللعينين الفتيتين اللتين كانتا تنظران إلى الورا.

وبعد أن تغلب موموتارو على غصة الوداع مع أبويه مضى في سبيله بخطى حثيثة. وفي وقت الظهيرة تماماً جلس، وقد عضه الجوع، تحت شجرة على قارعة الطريق وأخرج إحدى فطائر الدخن التي أعدت له وبدأ يستمتع بأكلها. وعندما كان منهمكاً، على هذا النحو، بمتعة الأكل، ظهر كلب أرقط بحجم العجل من مرج قريب، وتوجه نحوه متبخترًا.

توقف قبالة موموتارو، وزمجر مكشراً عن أنيابه، وأخذ يهدده قائلاً: "إنك ولد جسور، أن تمر بأراضي، أنا السيد الكلب الأرقط، حتى من دون اعتذار! أترك ما لديك من طعام وغادر المكان! وبخلاف ذلك فإنني سأفتك بك هنا في التو، والتهم رأسك!" ثم زمجر مرة أخرى متوعداً.

أجاب موموتارو ساخرًا: "يا كلب البراري المتوحش، عم تتحدث! إنني مسافر من أجل الوطن وفي طريقي لقهر "جزيرة الغيلان". واسمي موموتارو. وإذا ما حاولت أن تعترض طريقي لن أرأف بحالك، بل سأشطرك إلى نصفين من أعلى رأسك إلى أخمص قدمك!"

وفجأة وضع الكلب ذيله بين ساقيه وتكور إلى أصغر حجم ممكن و جثا على الأرض وقد أطبق الخوف عليه، وقال: "إذن، أنت السيد موموتارو الذي سمعت عنه الكثير!؟ أؤكد لك أنني لم تكن لدي فكرة بأنك هو؟ أرجو أن تغفر لي فظاظتي."

وظل يمسح رأسه بالأرض وهو يواصل الكلام: "تقول أنك في طريقك إلى قهر " جزيرة الغيلان"، فإذا أمرتني ، فستجديني خادمك المطيع ، وبمرافقتك سأكون ممتناً لحظي السعيد."

قال موموتارو : " إذا كنت راغباً في مرافقتي فلا مانع لدي."

قال الكلب: " ما من شيء يسعدني أكثر من قبولك عرضي بلا تحفظ. والآن، بسبب ما أشعر من جوع شديد ، أرجوك أن تعطيني واحدة مما كنت تأكل."

قال موموتارو : " إن هذه هي أفضل الفطائر المصنوعة من الدخن في اليابان. ولا أستطيع أن أعطيك واحدة كاملة بل سأعطيك نصف فطيرة."

أجاب الكلب: "إني ممتن لك."

ثم قبل نصف الفطيرة ، وعندما انتهى من أكلها مضى مع موموتارو . وقد حثا السير بأسرع ما يمكن.

واصل الاثنان مسيرهما عبر الوديان وفوق الجبال. وفجأة هبط متقافزاً من فروع شجرة قبالتهما قرد كان يلهو بين الأغصان. انحنى

انحناءة كبيرة أمام موموتارو. وقال: "ها هو، إذن، السيد موموتارو! إنه لمن دواعي السرور البالغ أن أراك في حملة حربية! أتضرع أن تسمح لي بمرافقتك، أنا خادمك المطيع."

حدق الكلب الأرقط بضراوة في وجه القرد دون أن ينتظر لسماع المزيد. وقال مزمجرًا: "أنا، الكلب الأرقط، أرافق السيد موموتارو! ما نفع قروود جبلية مثلك في الحروب؟ ابتعد! ابتعد! أقول لك!" وبدا على وشك الانقضاض على القرد نابحاً بصوت عال.

إن علاقة الكلاب بالقروود سيئة، منذ الأزل. وهذا القرد أيضاً ما كان ليسكت على مثل هذه الإهانة. وكان على وشك الدخول في معركة مكشراً عن أسنانه وكاشفاً عن مخالبه، حين دفعهما موموتارو جانباً، وقال: "انتظرا لحظة أنتما الاثنان! هدئا من روعكما! أيها الكلب الأرقط! اضبط نفسك قليلاً."

اعترض الكلب قائلاً: "لماذا؟ إن هذا القرد الجبلي يسيء إلى حضورك المهيب!"

رد موموتارو: "لا ضير في ذلك! ليس هذا من شأنك." وقال منحياً الكلب جانباً، ثم ملتفتاً إلى القرد: "والآن، من تكون؟"

قال القرد: "واضعاً يديه على الأرض في هيئة احترام: "أنا قرد هذا الجبل. واني إذ أسمع أنك، أيها السيد موموتارو، تقوم بهذه الرحلة لقهر جزيرة الغيلان، أرغب أيضاً في السماح لي بمرافقتك."

قال موموتارو : " إنك بكل تأكيد أصبحت مخلوقاً جديراً ! وفي هذه الحالة سأعطيك ، مراعاة لنياتك الحسنة ، نصف فطيرة من أحسن الفطائر في اليابان ، ويمكن لك أن تتبعتني."

وما أن انتهى من كلامه حتى أعطى القرد النصف المتبقي من الفطيرة التي سبق أن أعطى نصفها الآخر إلى الكلب.

بهذه الطريقة جعل القرد واحداً من أتباعه. بعدها سلم رايته إلى الكلب، ووضعه في المقدمة. وجعل القرد حاملاً لسيفه ووضعه في المؤخرة. ووضع نفسه بينهما يحمل بيده مروحة حديدية حسب العادة المتبعة لدى جميع العسكريين ذوي الرتب العالية في تلكم الأيام . ومن ثم مضوا جميعاً في سبيلهم آمنين.

بعد حين، وفيما كانوا يعبرون أحد المستنقعات، قفز فجأة من بين أقدامهم طائر كبير من طيور الحجل، وفي لمح البصر وثب الكلب



وراءه يريد أن يجعل منه لقمة واحدة، ولكن طائر الحجل تأهب للانقضاض على الكلب ماداً منقاره إلى الأمام.

عندما رأى موموتارو ذلك فكر في نفسه: "إنه، وحق السماء، طائر مثير للغاية. وإذا ما استطعت أن أجعله واحداً من أتباعي فقد يثبت نفعه! وركض إلى البقعة التي كان النزال فيها محتماً. كبح جماح الكلب وقال بلهجة كلها وعيد موجهاً كلامه لطائر الحجل، ومتعمداً الكلام بصوت مرتفع: "ماذا تريد باعتراضك طريق حملتي على هذا النحو؟ إذا سلّمت سأصطحبك معي خادماً لي، ولكن إذا أمعنت في اعتراض سبيلينا فسأطلق عليك هذا الكلب الأرقط وسيلوي رأسك حتى يفصله عن عنقك!"

كانت دهشة الطائر عظيمة، وسرعان ما انحنى انحناءً كبيرة. وقال بكل تواضع: "أيمكن أن يكون هذا هو السيد موموتارو الذي سمعت عنه الكثير؟ إنني حجل هذا المستقع ولم أكن أعرف أن قائداً مرموقاً يمر بهذا الطريق. ليس لدي الكلمات التي أعبر بها عن اعتذاري عن الشجار مع تابعك النبيل، الكلب الأرقط. إنني من الآن طوع أو أمرك وأعلن استسلامي الرسمي. أرجوك، أتوسل إليك أن تحدد لي واجباتي مثلما حددت واجبات السيد الكلب والسيد القرد." قال ذلك بتواضع جم.

أجاب موموتارو مبتسماً نصف ابتسامة : " إن مثل هذا التسليم السريع ينتزع إعجابي ! وأعز لك الآن بمراقفتي شأنك شأن الكلب والقرد في حملتي لقهر جزيرة الغيلان، وكن وفياً لي في كل الأمور." قال طائر الحجل: "سمعاً وطاعة."

وبعد أن أضيف إلى طابور الآخرين جرى معهما، وحصل على نصف فطيرة من فطائر الدخن، ومضى في سبيله مغتبطاً مع الآخرين. إن التأثير الذي يمارسه قائد عظيم لأمر رائع!

ومنذ ذلك الحين عقدت بين الحيوانات الثلاثة صداقة حميمة، وكانت تطيع أوامر موموتارو من صميم قلوبها. وواصلوا المسيرة بأسرع من ذي قبل.

كانوا يسرعون الخطى بلا كلال، حتى وجدوا أنفسهم والدهشة تغمرهم أنهم قد بلغوا شاطئ البحر. وأينما توجهوا بأبصارهم كان البحر يمتد أمامهم بلا حدود. ولم يكن في الأفق أي جزيرة، حتى ولا جزيرة صغيرة.

أسرع موموتارو ببناء قارب. أبحر به مع أتباعه الثلاثة إلى جزيرة الغيلان. نشروا شرعهم في ربح مواتية وأبحروا فوق سطح الماء، وسرعان ما لاحت في الأفق " جزيرة الغيلان".

كانت الجزيرة تبدو من البحر وكأنها صخرة مسنونة بإزميل، وكان يحيط بها سياج من حديد وله بوابة حديدية. وفي الداخل العديد



من البيوت الكبيرة ذات الأسطح المغطاة ببلاطات من الحديد. وبدت الجزيرة بحق حصناً عصبياً على الاقتحام.

وقف موموتارو في مقدمة الزورق يرنو إلى الجزيرة مظلاً عينيه بيده من وهج الشمس. وأخيراً قال منادياً طائر الحجل: "بما أن لديك جناحين، حلق فوراً إلى الجزيرة وتبين مجريات الأمور على وجه الدقة!" وافق طائر الحجل فرحاً، وتأهب على الفور للقيام بالرحلة، وانطلق بهمة ومعنويات عالية. وطبقاً لأوامر قائده طار بأعلى سرعة ممكنة، وحط أخيراً على سطح القلعة في مركز جزيرة الغيلان، وصاح بصوت عال مصفقاً بجناحيه: "اسمعوا وعوا! أنتم يا معشر الغيلان في هذه الجزيرة. إن رب السماء بعث برسوله القائد موموتارو، ابن اليابان العظيمة، لقهركم هذه الجزيرة! فإذا كنتم تريدون الحياة سارعوا لكسر قرونكم، وقدموا له كنوزكم، وأعلنوا استسلامكم! ولكن إذا قاومتهم فإني طائر الحجل الذي تكلم الآن، ومعى الكلب والقرد وكلاهما من المحاربين الشجعان المتمرسين في فن استخدام أنيابهم، سنأتي وننهش لحمكم واحداً واحداً حتى الموت!"

عندما سمعت الغيلان ذلك قهقهته بصوت مرتفع وصرخ غول منها :
" يا له من هراء! طائر ضجل من طيور الحجل التي تعيش في
المستنقعات ينادي داعياً إلى استسلامنا ! هو! هو! هو!! إن ذلك يثير
الألم والاشمئزاز في نفسي! تعال وجرب مذاق هذه الهراوة الحديدية!!"
ودون أن يتمهل لوضع رداؤه المصنوع من جلد النمر اندفع نحو
طائر الحجل لدق عنقه وسحقه. وكان طائرنا ، طائر الحجل ،
شجاعاً بكل تأكيد. فقد زاغ من الضربة دونما عناء ، وبنقرة واحدة
من منقاره على قمة رأس الغول طعنه وألقاه أرضاً. وحاول غول آخر ،
حين شاهد ذلك ، أن يضرب طائر الحجل أيضا بهراوة من حديد ،
ولكن طائر الحجل بنقرة واحدة من منقاره ، بالطريقة نفسها ، اخترق
صدر هذا الغول وحطم عظامه. وهاجم بمخالبه غولاً ثالثاً اندفع نحوه.
وقاتل بشجاعة فائقة صارعاً الغيلان التي أخذت تهاجمه.



وفي هذه الأثناء قفز الكلب والقرد بخفة من الزورق إلى الأرض وحطما على الفور بوابات الحامية الأمامية الحديدية الكبيرة، وأخذا يقفزان وكل منهما يحاول أن يكون في المقدمة.

كانت الغيلان تظن، حتى ذلك الحين، أن العدو يتألف من طائر واحد من طيور الحجل، ولكن حين اندفع موموتارو والحيوانان الآخران بلا سابق إنذار، قاتلت الغيلان قتالاً مستميتاً لردهم على أعقابهم. كانت هناك غيلان سمراء وأخرى زرقاء وثالثة سوداء، انقسمت جميعها إلى ثلاث مجموعات وقاتلت قتال المستميت دفاعاً عن النفس. و اختلطت صرخات الحرب التي أطلقتها الغيلان مع هدير الأمواج حتى بدا وكأنما انطبقت السماء على الأرض وتطايرت إلى أجزاء متناثرة.

ولكن الوهن أخذ شيئاً فشيئاً يعتري هذه الغيلان. وفي الهزيمة المنكرة، التي تلت ذلك، غرقت بعض الغيلان في ماء البحر وتهشمت غيلان أخرى عندما سقطت على الصخور! وما من أحد يستطيع أن يقدر كم من الغيلان قتلت على أيدي موموتارو والكلب والقرد وطائر الحجل.

وفي النهاية لم ينج من الغيلان سوى زعيمها، الغول العملاق. وعند ذلك ألقى هذا الغول العملاق هراوته الحديدية، وكسر قرونه ووضعها مع كنوزه أمام موموتارو. وانبطح كالعنكبوت واستسلم منكسراً وقد اقتنع على ما يبدو بأن لا جدوى من المقاومة.

وقال بخنوع والدموع تتساقط غزيرة من عينيه: "إنني شديد الإعجاب بالقوة العظيمة للسيد موموتارو. فما جدوى الاستمرار في المقاومة؟ اليوم هو النهاية! وأنا أعلن استسلامي! وأتوسل إليك أن تبقي على حياتي!"

سارع موموتارو إلى ربط هذا الغول العملاق بالحبال وسلم قياده إلى القرد. وعهد بالغنائم الثمينة إلى الكلب وطائر الحجل. اللذين بدأ بدورهما بوضعها في صندوق كبير.

كان هناك معطف يُخفي من يرتديه! وكذلك طاقية لها ذات القوة السحرية! ومطرقة كل ضربة منها تصنع قطعة ذهبية! والمرجان المقدس الذي حصلت عليه الإمبراطورة "جنغو" من البحر. وكانت هناك إلى جانب ذلك أصداق ولآلئ وأشياء ثمينة عديدة أخرى.

حمل الكلب وطائر الحجل هذا الصندوق وركب الجميع الزورق عائدين من حملتهم ظافرين.

كان الرجل العجوز وزوجته العجوز ينتظران عودة موموتارو بشوق وحنين، وفرحتهما به عندما وصل كانت غنية عن الوصف!

وبعودته صارت لديهما ثروة كبيرة وقوة عظيمة، أخذت تتزايد مع الأيام، وعاشوا حياة سعيدة وسط أعداد كبيرة ومتزايدة من الموالين والأتباع والأنصار.

